

بحث في: شعائر الحج والعبادات المختصة بها

نحن في هذه الأعمال الصالحة في هذا الموقف العظيم جننا لأجل أن نتزود للآخرة، وأن نعمل صالحًا يرجى قبوله ويرجى نفعه لنا في ديانا وفي أحرانا. هذا العمل هو ذكر هذه المناسك، المناسك هي: العبادات التي يتعبد بها في هذه المشاعر. المشاعر: أماكن العبادة تسمى مشاعر، وتسمى شعائر؛ علامة على العبادة، يعظمها المسلمون، يتعبدون الله تعالى فيها، وتسمى مشاعر وتسمى شعائر. قال الله تعالى: { إِنَّ الصَّغَا وَالصَّغَا وَالصَّغَا وَالصَّغَا } { وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } سماها شعائر تعظيمها و { وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } التَّعْبُدِ فِيهَا. كل مشعر له عبادة فعرفة من المشاعر، أن يبارك فيه في الوقوف فيه إلى الليل وكذلك الدعاء والذكر والاستغفار، والتمسك والاستضعاف، والتواضع بين يدي الله - سبحانه وتعالى - والإكثار من دعاء الله بما يرجى إجابته مع التمسك والاستضعاف كما ورد في الحديث: { أفضل الحج العج والتج } فالعج: هو رفع الصوت بتلبية أو تكبير أو دعاء أو غير ذلك، وكذلك إظهار المسكنة بمعنى: التمسك والاستضعاف بين يدي الله . وكذلك المشعر الحرام الذي هو مزدلفة قال الله تعالى: { قَادًا أَقْصَمُ مِنْ عَرَاقٍ قَادُكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } المشعر الحرام هو مزدلفة ويسمى جَمْعًا، .. العمل فيه المبيت، أن يأتي إليه الحاج بعد انصرافهم من عرفة ويبتون فيه ويكثر من الدعاء ومن ذكر الله: { قَادُكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَذَاكُمْ } ويصلون فيه المغرب والعشاء إذا وصلوا إليه. وكذلك يصلون فيه الفجر، ثم يكثر من الدعاء، ثم يتوجهون إلى منى قبل أن تطلع الشمس وبعد الإسفار هذا هو عمل ذلك المشعر. الذين يترخصون، وينصرفون منه وسط الليل قبل أن يطلع الفجر، أو قرب مغيب القمر. أرى أنهم قد أخذوا بهذا العمل الشريف؛ لأن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبقى في ذلك المشعر إلى أن يصلي الفجر، وإني أن يسفر جده ثم ينصرف، وما رخص إلا للضعفة الذين يشق عليهم الزحام . كذلك العبادات في هذا المشعر، الذي هو منى العبادات فيه منها ما هو واجب، كرمي الجمرات الجمرات الأولى في يوم العيد، والجمرات الثلاثة في الأيام الثلاثة لمن يتعجل، أو في يومين لمن تعجل. كذلك أيضًا من العبادات فيه التقرب إلى الله بخلق الرأس أو تقصيره فيعتبر عبادة وقربة يتقربون بها إلى الله تعالى، قال الله تعالى: { لَتَذُكَّرَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ } جعل هذا علامة على تعظيمهم لعبادة الله، محلقتين رؤوسكم. الحلق: هو إزالة الشعر بالموسى، ومقصرين؛ يعني القص منه بالمقرب، هذا يعتبر نسكا وعبادة من العبادات. كذلك أيضا التقرب إلى الله بذبح الهدايا التي يتطوع بها صاحبها، أو بذبح ما يلزمه: من فدية قران، أو فدية تمتع، أو دم جبران، أو فدية محذور، أو جزاء صيد كل ذلك محل ذبحة في هذه الأماكن، يجوز الذبح في منى ويجوز في بقية الحرم؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - { نحرنا هاهنا، ومنى كلها منحر وفجاج مكة كلها طريق ومنحر } فهذا النحر يعتبر قربة، النحر للإبل والذبح لغيرها من البقر والغنم يعتبر طاعة وقربة: { لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحَوْمِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالَ النَّفْسَ مِنْكُمْ } . كذلك أيضًا من العبادات في هذه الأيام الطواف الذي هو طواف الإفاضة، والسعي لمن لم يكن سعى مع طواف القدوم إذا كان قارنا أو مفردا، وهذا من أدل العبادات؛ فإن الطواف بالبيت الذي طواف الإفاضة ركنا لا يم الحج إلا به، وكذلك الطواف عند السفر الذي هو طواف القدوم واجب يجبر بدم لمن تركه. هذه من العبادات التي تعظم بها حرمة الله، الذين يواطون عليها يدخلون في قول الله تعالى: { وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ حَبِيرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } { وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } أي تعظيمها هو إتيانك بالعبادات المشروعة في هذه المشاعر وفي هذه الأماكن، ولا بد أن تأتي بها كاملة؛ أتباعا للنبي - صلى الله عليه وسلم - تفعل ما فعله صلى الله عليه وسلم. فهذه المشاعر والعبادات التي تؤدي في هذه الأماكن، يجب أولاً: أن يجعلها عبادة، أن يأتي بها كعبادة وقربة يتقرب بها إلى الله - سبحانه وتعالى - يقصد بها وجه الله، ويقصد بها الدار الآخرة لا يريد عرضا من الدنيا ولا يريد فخرا وتطاولا ولا يريد رباءً وسمعة ولا يتمدح بذلك، ولا يعجب بأفعاله، فيعترف بأنه مقصر وأنه ناقص العبادة، فيدين بها لوجه، ويخلصها لوجه الله تعالى هذا شرط لقبولها . كذلك أيضًا يحرس على تكميلها. تكميل أركان الحج التي هي أربعة: الإحرام، والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة لا يتم الحج إلا بها. وكذلك تكميل الواجبات، فيحرم من الميقات الذي حدده النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقف بعرفة إلى غروب الشمس، ويبيت بمزدلفة إلى آخر الليل ولا يتعجل إلا لعذر. لا يتعجل آخر الليل إلا لعذر، ويبيت بمنى أيام منى لا يخرج منها إلا لقضاء حاجة، أو لضرورة، ويرمي الجماد على الترتيب الذي رمى النبي - صلى الله عليه وسلم - به، ويحلق رأسه قربانا؛ يتقرب بذلك إلى الله - سبحانه وتعالى -. وكذلك يختم أعماله بطواف الوداع إذا تم ذلك تم حجه. يحرس بعد ذلك على السنن التي يتم بها حجه، فيحرس على كثرة ذكر الله الذي أمر الله به في قوله تعالى: { وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ } وفي قوله تعالى: { قَادُكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } وفي قوله: { وَبَدُكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ } وعلى التكبير الذي أكد صلواته في هذه الأيام بقول الله تعالى: { وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ } .